

كيف تنصر نبيك

محمد ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي القدرة والجلال، والنعم السابغة والإفضال، الذي منّ علينا بمعرفته، وهدانا إلى الإقرار بألوهيته، وجعلنا من أمة خاتم النبيين، السامي بفضلته على سائر العالمين، الطاهر الأعراف، الشريف الأخلاق، الذي قال الله الكريم مخاطباً له في الذكر الحكيم: (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ**) وقال عن نصرته لدينه: (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) (**ص**)، وأزلف منزلته لديه، وعلى إخوانه وأقربيه، وصحابته الأخيار، وتابعيه، وسلّم عليه وعليهم أجمعين إلى يوم الدين..

أما بعد،، فإن الله هدانا بنبيّه محمد **ص** به من الظلمات إلى النور، وآتانا ببركة رسالته، ويؤمن سفارته خيري الدنيا والآخرة، وكان من ربه بالمنزلة العليا، وفي كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكره **ص**، وعدّ محاسنه، وتعظيم أمره وتنويه قدره، فمن ذلك ما قاله سبحانه (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**) وقد جمع له سبحانه في هذه الآية ضرباً من رُتب الأثرية، وجملة أوصاف من المَدْحَة، فجعله شاهداً على أمته بإبلاغهم الرسالة، فتحملها في الدنيا، ويؤديها في الآخرة، يقول تعالى:

(**لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**) ومبشراً لأهل طاعته، ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته، وسراجاً منيراً يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية، ويهتدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية، وقد وصفه ربه بهذه الآية في التوراة وزيادة، " **حرز للأُمِّيِّينَ، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكّل، ليس بفظّ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو، ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا " لا إله إلا الله " ويفتح به أعيناً عمياً، وأذاناً صمّاً، وقلوبنا غلفاً** "

بل من فضيلته عند الله أن جعل طاعته طاعة لله، فقال (**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**) وأقسم ربه بحياة رسوله **ص**، وله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس ذلك لأحد منهم، يقول ابن عباس: " **ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد **ص****، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال تعالى: (**لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**) " **وقد تضمّنت سورة الضحى من كرامة الله تعالى لمحمد **ص**، وتنويهه به، وتعظيمه إياه خمسة وجوه:**

الول: القسم له عمّا أخبره به من حاله بقوله
(**والضحى * والليل وما سجي**) أي: وربّ الضحى، وهذا من أعظم درجات
المبرّة..

الثاني: بيان مكانته عنده، وحظوته لديه بقوله (**ما ودّعك ربك وما قلى**) أي: ما
تركك وأبغضك بعد أن اصطفاك وأحبك..

الثالث: (**وللآخرة خير لك من الأولى**) أي: كل حالة متأخرة من أحوالك فإن لها
الفضل على الحالة السابقة، فلم يزل ﷺ يصعد في درجات المعالي، ويمكن له من
دينه، وينصره على أعدائه، ويسدّه في أحواله حتى مات، وقد وصل إلى حال ما
وصل إليها الأولون والآخرون من الفضائل والنعم، وقرّة العين، وسرور القلب ثم
بعد هذا لا تسأل عن حاله في الآخرة من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولقد منّ
ربه عليه بالكوثر..

الرابع: (**ولسوف يعطيك ربك فترضى**) وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع
السعادة، وثبات الإنعام في الدارين وزيادة..

الخامس: تعداده سبحانه لوجوه امتنانه عليه ﷺ بقوله: (**ألم يجدك يتيماً فأوى *
ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى**)

وقد زكاه سبحانه في خلقه فقال: (**وإنك لعلى خلق عظيم**) وزكى بصره فقال: (**ما زاغ البصر وما طغى**) وزكى منطقه فقال: (**ما ينطق عن الهوى * إن هو إلا
وحي يوحى**) ورفع ذكره فلا يُذكر إلا ويُذكر معه كما في الأذان، والتشهد،
والخطب، والمجامع والأعياد، وذلك قوله تعالى (**ورفعنا لك ذكرك**)

صاحب الوسيلة، والفضيلة، والمقام المحمود، والحوض المورود، ولواء الحمد
الذي تحته كل حماد، أكرم خلق الله عليه، وسيد ولد آدم وهذا كله، إنما هو غيض
من فيض، وقليل من كثير فضله ﷺ، ولما أوجب الله علينا من تعزيره، ونصره
بكل طريق (**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزوه وتوقروه**) ، وإيثاره بالنفس والمال في
كل موطن، وحفظه وحمايته من كل مؤذ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصره
الخلق (**إلا تنصروه فقد نصره الله**) ، ولكن ليبلوا بعضكم ببعض، وليعلم الله من
ينصره ورسوله بالغيب؛ ليحق الجزاء على الأعمال كما سبق في أم الكتاب،
أحببت أن أضرب بسهمي في بيان نزر قليل من تفاصيل وجوب محبته، ولزوم
نصرته، وإخلاص نصيحتة، وحقه على أمته عليه أفضل الصلاة والتسليم..

واعلم - نور الله قلبك وقلبي وضاعف في هذا النبي الكريم حبّي وحبك - أن
لرسول الله ﷺ عليك حقوقاً عظيمة عن طريقها يتم نصرك له، منها:

1\ (فآمنوا بالله ورسوله)..

فإن على كل مؤمن وجوب الإيمان به ﷺ، وتصديقه فيما أتى به، وهذا معنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع..

يقول شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: " ويجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي ﷺ، فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله، شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة"، ويقول ابن القيم في مدارج السالكين: " فرأس الأدب مع الرسول ﷺ: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة بخيال باطل يسميه معقولا، أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وَّحد المرسل سبحانه وتعالى – بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل "

وقد تكرر الأمر بالإيمان برسول الله ﷺ بل وقرنه بالإيمان بالله، يقول تعالى (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا ببركم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين)

فجعل الرب شرط الإيمان به الإيمان برسوله ﷺ وبما يدعو إليه، كيف وقد أيدته بالآيات الظاهرات الدالة على صدق ما جاء به، ولذا جاء عقب هذا الآية: (هو الذي ينزل على عبده آيات بيّنات) وقال سبحانه (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وتأمل حصر الإيمان بأداة الحصر (إنما) في من آمن بالله ورسوله، ثم لم يشك أو يتزلزل بل ثبت على حال واحدة وهي التصديق المحض، ثم جاء بذل المال والنفس في سبيل الله، فكان الجزاء أن أشار إليهم بـ (أولئك) لما فيه من معنى بعدهم في الفضل والأجر، وعقبه التزكية (هم الصادقون) أي الذين صدق فعلهم قولهم..

بل حكم الله بكفر من لم يؤمن برسوله، وحذره من سعيه فقال سبحانه: (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعتدنا للكافرين سعيرا)

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي

أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار " ..

وأخرج - أيضًا سفيان أن رسول الله ﷺ قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله "

وانظر إلى المنزلة الرفيعة، والمكانة العظيمة التي بلغها صديق هذه الأمة، حين صدق رسول الله ﷺ حق تصديقه، وآمن به حق الإيمان، فعن عائشة قالت: " لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر، فقال: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قال: نعم! قال: لأن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدق أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم إني لأصدق فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة " فلذلك سمي الصديق.. أخرج الحاكم، وصححه الألباني.

ومن لطائف هذا الباب التي تدل على منزلة الشيخين الجليّة، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: " بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبها حتى استنقذها، فالتقت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع، ليس لها راع غيري؟! وبينما رجل يسوق بقرة، وقد حمل عليها، فالتقت إليه، فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ " فإني أو من بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب " أخرج البخاري.

وانظر - رحمك الله - إلى مبلغ الإيمان برسول الله ﷺ عند الصحابة ومدى التصديق، فيما أخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان في قصة المسيح الدجال وفيه: " إنه خارج من خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعات شمالا يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا؛ اقدروا له قدره " فها هو يخبرهم ﷺ بطول يوم في عصر الدجال حتى يغدو كسنة، فلا يسأل أصحابه إلا عن الصلاة وما ذاك إلا لسرعة استجابتهم، ورسوخ فضلهم، ولا غرو فهم من زكاهم ربهم..

وفي يوم الأحزاب حين تمايزت الصفوف عن أصناف ثلاثة لا رابع لها إما: مؤمن خالص، أو كافر جاهر بكفره، أو منافق كشف خبث سريره يوم أصاب المسلمين ما أصابهم من جوع، وخوف، وتكالب أعداؤهم عليهم، واعترض أثناء حفر الخندق للمسلمين صخرة بيضاء صلدة شق عليهم كسرها، فذهب سلمان - رضي الله عنه - ليخبر رسول الله ﷺ فقام - بأبي هو وأمي - وهولها، فأخذ المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لآبتي المدينة كأنها مصباح في ليل مظلم، فكبر رسول الله ﷺ وكبر أصحابته، فضربها

الثانية فكذاك، ثم الثالثة.. فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: "إني حين ضربت الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني، قال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا، ويغنمنا ديارهم، ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ بذلك، ثم ضربت الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني، فقالوا: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا، ويغنمنا ديارهم، ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ بذلك، ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني. قال رسول الله ﷺ عند ذلك: دعوا الحبشة ما ودعوكم " . أخرجه النسائي وحسنه الألباني..

وارع سمعك وبصرك لما تقرأ ترى ما بثه رسول الله ﷺ من روح الأمل والبشارة في زمن جوع شكى فيه الصحابة إلى رسول الله الجوع، فرفعوا عن بطونهم عن حجر، فرفع رسول الله عن حجرين، وفي خوف شديد، ومع ذلك يؤمن صحابة رسول الله ﷺ بما أخبرهم به في هذا الزمن الحرج، ولا ريب فحكمه عدل، وخبره صدق، ولذلك كان أبوهريرة - رضي الله عنه - يقول حين فتحت هذه الأمصار: افتتحوها ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحت من مدينة، ولا تفتحنها إلى يوم القيامة، إلا وقد أعطى الله محمد ﷺ مفاتيحها قبل ذلك..

ومما مضى عليك بالمسارعة في الإيمان برسول الله ﷺ،

واحذر أن تورد الشبهة على الأحاديث النبوية، ولا تجعل قلبك كالإسفنجة تتلقى ما يرد عليها، واجتنب إثارة الشبهة وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبهه خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها حمالة الحطب - المبتدعة وأذئابهم - فتوقهم، ولك في سلفك الصالح قدوة، فبهدهم اقتده..

12 حتى يحبك الله..

ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فنزلت آية المحنة (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)

يقول ابن كثير: " هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله "

وقال ابن القيم: " يحبكم الله، إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبة لكم منقضية، فمحبة الله تكون ثابتة بمتابعة رسول الله ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه.. "

وتأمل - وفقك الله - ثمرة متابعة رسول الله: محبة الله، ومغفرة الذنوب واحذر من ترك طاعته (فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)

تعصي الإله وأنت تزعم حبه

هذا لعمرى في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

يقول الإمام أحمد - رحمه الله : " نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا "

ويقول شيخ الإسلام: " وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا وذكر معه "

فطاعة الله ورسوله ﷺ رحمة (وأطيعوا الله والرسول

لعلكم ترحمون)..

وطاعة الله ورسوله فوز (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون)، (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)..

وطاعة الله ورسوله ﷺ سبب دخول الجنة (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم)..

بل إن طاعة الله ورسوله سبب عظيم في اللحاق بأولي الدرجات العلى (ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا)..

واحذر هداك الله مخالفة الله ورسوله فإن المخالفة سبب الشقاء في الدنيا والآخرة يقول تعالى:

(ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلاً) وفي هذه الآية بيان حال مخالف الرسول حين يقوم الناس لرب العالمين فيعضّ الظالم على يديه أسفا وحسرة لمخالفة الرسول ﷺ لكن أتى له الذكرى..!؟

ويقول سبحانه: (ويوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول * وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبرائنا فأضلونا السبيل * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)

وقارن بين حال المتبع والمخالف أو المبتدع، فالمتبعون في جنات فائزون مهتدون مرحومون، والمخالفون قد بلغ منهم الأسى مبلغه، وعضوا الأنامل حسرات، وحُشروا في جهنم جماعات يلعن بعضهم بعضاً، ويدعوا بعضهم على بعض..

ومن أدل الآيات الموجبة للتسليم لحكمه ﷺ،

والانقياد له قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وفي هذه الآية أقسم سبحانه بأجل مقسم به وهو نفسه عز وجل على أنه لا يثبت لهم إيمان، ولا يكونون من أهله، حتى يحكموا رسول الله في جميع موارد النزاع، وفي جميع أبواب الدين فإن لفظه (ما) من صيغ العموم، ولم يقتصر الأمر على مجرد التحاكم، بل ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه حيث لا يجدون في أنفسهم حرجاً - ضيقاً - من حكمه، بل قبلوا حكمه بالانشراح، ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض، ويشربونه على قذى، فإن هذا مناف للإيمان، ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى: (ويسلموا تسليماً) فذكر الفعل مؤكداً بمصدره القائم على ذكره مرتين، وهو التسليم والخضوع والانقياد طوعاً ورضاً، وتسليماً لا قهراً ومصابرة، كما يسلم المقهور لمن قهره كرها، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيدته الذي هو أحب شيء إليه، يعلم أن سعادته وخلصه في تسليمه إليه، وليعلم بأنه أولى به من نفسه، وأبر به منها، وأقدر على تخليصها، كما قال تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

ومتى أراد العبد أن يعلم قبوله لحكم رسول الله ﷺ، وتسليمه له، فلينظر في حاله، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلده فيه أسلافه من المسائل الكبار والصغار (بل الإنسان على نفسه بصيرة) فسبحان الله كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير النصوص بوجههم أن لولم ترد!! وكم من حرارة في أكبادهم منها!! وكم من شجى في حلوهم منها ومن موردها!! ستبدولهم تلك السرائر بالذي يسود ويخزي يوم تبلى السرائر (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى "، وأخرج أيضاً من حديث جابر قال: " جاءت الملائكة إلى

النبي ﷺ وهونائم. فقال بعضهم إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة، وإن القلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها. فقال بعضهم: الدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمد عليه الصلاة والسلام فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس "

فأجب الداعي لتدخل الدار، وتأكل من المأدبة، وفقني الله وإياك للعلم النافع والعمل الصالح..

وفي حديث العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قال: " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة " أخرجه أبو داود، وصححه الألباني..

يقول الإمام الخطابي: "إنما أراد بذلك الجد في لزوم السنة، فَعُل من أمسك بشيء بين أضراره، وعض عليه مانعاً له أن ينتزع، وذلك أشد ما يكون التمسك بالشيء، إذ كان ما يمسكه بمقادير فمه أقرب تناولاً وأسهل نزاعاً "

وقد حوى الحديث ركيزتين أساسيتين:

1/الاتباع.. 2/ ذم الابتداع..

وكل ما تركه الرسول ﷺ من جنس العبادات، ولم يفعله مع وجود المقتضى لفعله على عهده ﷺ ففعله بدعة، وتركه سنة، كالاحتفال بالمولد، وإحياء ليلة الإسراء والمعراج، وإحياء ليلة الهجرة، ورأس السنة وغيرها، لقول رسول الله ﷺ: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ". وقال ابن مسعود: " اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم "

يقول الإمام مالك: " فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً "، ويقول شيخ الإسلام: " والترك الراتب سنة، كما أن الفعل الراتب سنة "

وتعال لنقف على حال السلف الصالح في اتباعهم، وسرعة اقتدائهم بحبيبهم ﷺ..

سوء الحفظ - الغلط الفاحش - الغفلة - الوهم - مخالفة النقات.

- أخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: "لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس سنة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يُوجه إلى الكعبة فأنزل الله تعالى (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها**) فتوجه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر، ثم خرج فمرّ على قوم من الأنصار فقال: " هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ، وأنه قد وجه إلى الكعبة "، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر..

فما أسرع تأسيهم فلم يترددوا في التمسك بما جاء به، بل لم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع، وبادروا بالتوجه إلى حيث توجه الحبيب ﷺ إلى الكعبة

المشرفة وهم ركوع..

وأخرج أبو داود وصحّ الألباني من حديث أبي ثعلبة الخشني قال: " كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية فقال النبي ﷺ "إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان" فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض " حتى يقال: " لوبسط عليهم ثوب لوسعهم " فبمجرد أن طرقت الأسماعهم، كان فعلهم يترجم قوله (سمعنا وأطعنا) ويأتي الراوي ليصف حالهم بعد الأمر " لوبسط عليهم ثوب لوسعهم " ..

- وقد يخفى على المسلمة الحكم الشرعي في أمر من أمور حياتها، ومسألة في دينها، ويعزّ عليها الاجتهاد والتماس النصوص الشرعية، فالمتعين هنا التورع عن العمل بلا علم، وسؤال الراسخين في العلم؛ لمعرفة الحق المبين، أخرج مسلم من حديث أسماء قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن لي ابنة عريسا، أصابتها حصبة، فتمزق شعرها، أفأصله؟ قال: "لعن الله الواصلة والمستوصلة" ..

وتأمل - أعانك الله على طاعته - لهجة الأم الحنون التي تفيء بظلال العاطفة والمحبة الوارفة، وهي تستأذن رسول الله ﷺ في وصل شعر ابنتها الناقهة من المرض، حديثه العهد بالعرس، إن المشاعر الجياشة التي تضطرب في فؤاد تلك الوالدة، والرغبة الجامحة لتزيين بنيتها، وتحقيق فرحتها، لم تسوّغ لها ارتكاب المنكر، فلم تطب نفسا بالوصل بحجة الجهل بالحكم، أو احتياج العروس إليه، بل أنت تستفتي رسول الله ﷺ، راضية بحكمه، مسلمة لأمره..

وما أحوجنا في هذا العصر الذي شاع فيه حبّ الملمات، وإرضاء الشهوات بالمحرمات، أن نطوع أنفسنا لما يرضي ربنا عزّ وجلّ، ونجعل هوانا تبعاً لسنة نبينا ﷺ حتى نحب ما يحبه، وندع ما يبغضه مقتدين في ذلك بسلفنا الصالح..

- ولا يظنن أحد أن الامتثال كان سمة أفراد من هذا العصر المشرق فحسب بل كان صبغة جميع أفرادها، أخرج أبو داود وصحح الألباني من حديث أبي أسيد الأنصاري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال: " استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق " فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به..

وقال إبراهيم بن مجمع: " كُنَّا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به "

وقال أحمد بن حنبل: " ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مرَّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا شيبَةَ ديناراً، فاحتجمت وأعطيت الحجَّام ديناراً "

فابذل وسعك في حفظ العلم حفظ رعاية بالعلم والاتباع لا على فعل الواجبات وترك المحرمات فحسب، بل في الحرص على فعل المسنونات، وترك المكروهات، وتمييز في عامّة أمرك باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنك، ووظف السنن على نفسك، فإن الله تعالى

يقول: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

فاشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوماً لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير، ذلك يوم التغابن، يوم يعرض الظالم على يديه..

3/ حتى من نفسك..

اعلم - وفقك الله - أن حبّ رسول الله ﷺ من الإيمان، بل إنه مقدم على حب النفس، كما روى البخاري من حديث عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر - رضي الله عنه - فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كلّ شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك " فقال له عمر: " فإنه الآن، والله لأنت أحب إليّ من نفسي " قال: " الآن يا عمر " ومما يلاحظ في قوله " والذي نفسي بيده " أنه ﷺ أقسم وهو الصادق المصدوق، فالقسم للتأكيد، وقوله " الآن يا عمر " يعني: كمل إيمانك .. مصداق هذا الحديث قوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ، ومقدم على حب الوالد والولد كما أخرج البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده "

بل لا بدّ أن تكون محبته مقدّمة على الأهل والمال والناس أجمع، أخرج مسلم من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله، وماله، والناس أجمعين "

فالمتمأل فيما تقدم من الأحاديث يجد أنها حوت أنواع المحبة كلها؛ فالمحبة إما محبة إجلال وتعظيم كمحبة الوالد، وإما محبة تحنن وودّ كمحبة الولد، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال كمحبة الناس بعضهم بعضاً، وإما محبة غنا كمحبة المال، وإما محبة بقاء كمحبة النفس، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول ﷺ عنده أشدّ من هذا المحابّ كلها، ولقد هدد الله سبحانه وتعالى من كان شيء من الخلق أحب إليه من الله ورسوله فقال (قل إن كان آبؤكم وأبنؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

يقول مجاهد والحسن - رحمهما الله - في تفسير قوله تعالى (حتى يأتي الله بأمره) " بعقوبة آجلة أو عاجلة " ثم فسقهم الله بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله.

يقول الزمخشري: " وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها " .

ويقول القرطبي: " وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك، وأن ذلك مقدم على كل محبوب " .

ولن تجد حلاوة الإيمان التي تعني استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، الذي يعني سلامة قلبك حتى تكمل محبة الله ورسوله لا تكفي منها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله، أحب إليك مما سواهما، وبفرع المحبة بأن لا يحب المرء إلا الله، ولا بد أن يدفع المرء ضدها بأن يكره أن يعود إلى الكفر أو الفسق بعد أن هداه الله، أخرج الشيخان من حديث أنس مرفوعاً: " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "

وأبشر أيها المحب بمرافقتك من أحببت، فقد روى مسلم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: " جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: " وما أعددت للساعة؟ " قال: حب الله ورسوله، قال: " فإنك مع من أحببت " قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ " فإنك مع من أحببت " قال أنس: " فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأرجو الله أن أكون معهم، وأن أعمل بأعمالهم "

ومحبة الله ورسوله على درجتين:

محبة واجبة: وهي درجة المقتصدین، وتقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بحيث لا يبغض شيئاً يبغضه وإنما يحب جميع ما أوجبه الله ورسوله، ويبغض ما حرمه الله ورسوله، يقول الله تعالى: (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

وأما المستحبة: وهي درجة السابقين، وتكون بمحبة ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة، وهذا حال المقربين الذين قربهم الله إليه، جعلني الله وإياك منهم..

وانقسم الناس في محبة رسول الله ﷺ إلى أقسام ثلاثة: أهل إفراط، وأهل تفريط، ووسط بينهما وكذلك جعل الله أمة محمد أمة وسطا..

أما الأوائل منهم فهم الذين ابتدعوا أمورا لم يشرعها الله ورسوله، ظنا منهم أن فعل هذه الأمور هو علامة المحبة وبرهانها، ونسوا قوله تعالى: (فاتبعوني يحببكم الله) فاحتفلوا بمولده ولو كان خيرا ما سبقوه إليه، وبالغوا في مدحه، ووقعوا في الغلو الذي نهاهم عنه، فوا عجبني لمحبتهم المزعومة، وفي ذلك يقول قائلهم:

يا أكرم الخلق مالي من ألودبه

سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي أخذا بيدي

فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

واشتغلوا بحفظ المدائح النبوية عن حفظ سنته، فسار القوم ووقفوا، ووصل القوم وانقطعوا، حتى بلغ الحال ببعضهم أن صار يدعورسول الله من دون الله، ويحلف به، ويتمسح بالحجرة التي فيها قبره إلى غير ذلك من الشراكيات التي تفعل بدعوى محبة رسول الله ﷺ وهي منافية لها بعيدة عنها..

أما المفراط فهو الذي لم يرع حق رسول الله ﷺ في وجوب تقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال.. ولم يعزره، ويجله، ويطيع أمره، ويتبع سنته، وما ذاك إلا بسبب ذنبه، وإغراقه في شهوات نفسه، وتقديم هواه على ما جاء في شرع ربه، ثم إنه اعتقد جاهل قومه أن مجرد التصديق يكفي في تحقيق الإيمان، حاله كحال أهل الإرجاء الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو تصديق القلب وإقرار اللسان، وما أكثر هؤلاء - لا كثرهم الله - في هذا الزمان..

وأما القسم الثالث وهم من وفق الله فالذين توسطوا بين الطرفين وأصحاب هذا القسم هم السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، فأحبوا النبي ﷺ فوق محبة النفس والولد والأهل وجميع الخلق، وتابعوه، وعزروه، ونصروه، وحفظوا سنته رعاية ورواية، واعتقدوا أنه ليس من المحبة في شيء الغلوفي حقه، وقدره، ووصفه بأمر قد اختص الله بها وحده، بل علموا أن هذا مخالفة ومضادة لتلك المحبة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ..

ومن علامات هذه المحبة: الحرص على رؤيته، والإكثار من ذكره بالصلاة والسلام عليه، ولزوم طاعته، وحفظ ونصر سنته، والذب عن عرضه، ومحبة من أحب، وبغض من أبغض - وقد مضى بعضها، وسيأتي البعض الآخر بشيء من الذكر - إن شاء الله ..

وللسلف الصالح في محبة رسول الله ﷺ أعطر الذكر، وإليك بعضا من سير القوم في صدق المحبة، وعظيم العاطفة:

سئل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ ..

وقد سأل أبوسفیان بن حرب - وهو على الشرك يومئذ - زيد بن الدثنة - رضي الله عنه حينما أخرجته أهل مكة من الحرم ليقتلوه، أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا الآن مكانك تضرب عنقه، وأنت في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي ..

قال أبوسفیان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمدا ..

وجاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فقال: لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي، ولولا أنني أتيتك فأراك لظننت أنني سأموت، وبكى الأنصاري. فقال له رسول الله ﷺ: " ما أبكاك؟ " قال: ذكرت أنك ستموت، ونموت، فترفع مع النبيين، ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك. فلم يخبره النبي ﷺ بشيء فأنزل الله عز وجل على رسوله:

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) فقال له الرسول ﷺ: " أبشر " .

وروى الطبراني عن سعد بن أبي وقاص قال: " مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوأ لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. قال: فأشير إليه حتى رآته. قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

وما هذا الإيثار الذي تضمنته هذه الكلمات إلا تعبير عما تكنه نفوسهم من المحبة له ﷺ.

واسمع لقول قيس بن صرمة الأنصاري إذ يقول حين قدم النبي ﷺ المدينة:

ثوى في قريش بضع عشر حجة

يذكر لويلقى حبيبا مؤاتيا

ويعرض في أهل المواسم نفسه

فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا

فلما أتانا واستقرت به النوى

وأصبح مسرورا بطيبة راضيا

بذلنا له الأموال من حل مالنا

وأنفسنا عند الوغى والتأسيا

نعادي الذي عادى من الناس كلهم

جميعًا وإن كان الحبيب المصافيا

ونعلم أن الله لا رب غيره

وأن رسول الله أصبح هاديا

فهل رأيت حبا أعظم من حب أصحاب محمد ﷺ له، وبعد ما تقدم؛ تذكر كم مرة قدمت محبة نفسك ووالدك ووالدك وزوجك على محبة رسول الله ﷺ، وكم مرة أطعتهم وعصيتهم، وحكمتهم في مالك، وسلمتهم نفسك، فما أعجب حالك، كيف تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتقرأ (يوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) واعلم أنك متى أرضيت الله أرضى عنك الناس كلهم ولو سخطوا، وإن ابتغيت رضاهم بغضب الله غضب الله عليك وأغضب

عليك الناس ولورضوا، فأحكم معيارك، واجعله رضا ربك، تفز بإذن مولاك،
بوركت، وبورك عملك..

4 | هل اشتقت له؟! وتمنيت صحبته!؟

لا ريب أن غاية المحب أن يرى محبوبه، وأن يحظى بصحبته، وأن يكحل عينه
برؤيته حتى ولو كانت هذه الرؤيا مقابل بذل المال والأهل، ولقد نص على هذه
العلامة رسولنا ﷺ فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لوراني بأهله وماله .."

وقد وصف رسول ﷺ أهل هذه العلامة من الأمة بأنهم من أشد الناس محبة
لرسول الله ﷺ، ولا يقدر حق هذه الأمانة إلا صاحب الإيمان الذي ترسخ في قلبه
حب رسول الله ﷺ، وضربت شجرة المحبة بعروقها في قلبه، فأينعت ثمارها،
وطاب أكلها، ولا يبالي أحدهم أن يبذل أهله وماله للحظوة برؤيته ﷺ، ولسان حال
أحدهم يقول: ما أعظم الأمانة، وما أرخص الثمن.. فحريّ بهذه النفوس أن تنال
شهادة النبي ﷺ لها بأنها أشد القلوب محبة له، ولا تعجب لمن اشتاق لرؤية من
اصطفاه الله، وهداه الله به، من حاز على خصال الكمال التي هي في جبلة
الخلقة، وأحاط بشتات محاسنها دون خلاف بين نقله الأخبار لذلك، فلم يكن
بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق ولا بالأدم، ولا بالجعد القطط
ولا بالسبط، مربوعاً بُعيد ما بين المنكبين، شثن الكتفين والقدمين، ضخم الرأس،
ضخم الكراديس، وطويل المسربة، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب
سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدّره الغضب، أفتى العرنين، أهدب الأشفار،
أدعج العينين، له نور يعلوه، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلج الأسنان،
أحسن الناس عنقا كأن عنقه جيد دمية في صفاء فضة، خافض الطرف نظره إلى
الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، إذا ضحك ضحك عن
مثل سنا البرق، وعن مثل حب الغمام، وإذا تكلم روي كالنور يخرج من ثناياه..

قال أبو هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه،
وإذا ضحك يتلألأ في الجدر..

وقالت أم معبد: أجمل الناس من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب..

وقال علي: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله
ولا بعده مثله ﷺ..

هذا في خلقه، أما خلقه فقد كان القرآن، وزكاه ربه فقال سبحانه: (**وإنك لعلی خلق
عظیم**)، فهل بعد هذا الكمال الخُلقي والخُلقي لا تشتاق إليه بل تبذل دون رؤيته
الأهل والمال..

وقد كان لسلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – عظيم الشوق للقياء، والحرص على صحبته. وإليك مواقف خلدها التاريخ، وحفظتها السير:

أخرج البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً – في ساعة لم يكن يأتينا فيها – فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال: فإني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله: "نعم".

لم يفكر أبو بكر – رضي الله عنه – في مخاوف السفر ومخاطره، وإنما كان مولعاً بشرف صحبته وإن ترك أهله وماله، فجاءته البشارة، فأنحدرت دمعته على لحيته الشريفة فرحا بالظفر، وجدلاً بالفوز، يقول الحافظ: "زاد إسحاق في روايته: " قالت عائشة: فرأيت أبا بكر يبكي، وما كنت أحسب أن أحدا يبكي من الفرح "

وقد انتظر الأنصار مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد خروجه من مكة، أخرج البخاري من حديث عروة قال: " وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول ﷺ من مكة فكانوا يقعدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة "

وفي رواية ابن سعد: " فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم "

ويحدثنا الإمام أحمد في حديث أنس أن عدد من استقبل رسول الله ﷺ كان زهاء خمسمائة من الأنصار انتهوا إلى رسول الله وأبي بكر، فقالوا: " انطلقا آمنين مطاعين "

وأما أهل المدينة فاسمع الصديق يحدثك عن استقبالهم لخير ضيف نزل عليهم: " ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة، فتلقاه الناس، فخرجوا في الطريق وعلى الأجاجير، فاشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر؛ جاء رسول الله، جاء محمد ﷺ، قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه.. "

يقول أنس: " فما رأيت يوماً قطّ أنور ولا أحسن من يوم

دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة " ..

ويقول البراء: " فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ " ..

وإليك أن تتخيّل انتظارهم من أحبّوه في حرّ الهجيرّة،
يترقبون مرآه الجميل، وحديثه العذب النمير حتى تحرقهم الشمس، فيرجعون إلى
بيوتهم على أمل لقياه في الغد، فإذا أنارت المدينة بقدمه خرج خمسمائة من
الرجال يستقبلونه، وامتألت سكك المدينة وسطوحها بالنساء والخدم والصبيان
يكبرون لمقدمه، ويهنئون أنفسهم أن اصطفاهم الله لشرف إقامته بينهم، يا له من
موقف يُغبط أهل المدينة عليه!!!

- بل كان همّ الواحد منهم أن ينال شرف الصحبة في

الدنيا والآخرة، ولا يتردد في طلب رسول الله ﷺ أن يدعوله أن ينال شرف
مرافقته ﷺ في الجنة، فتأتي الإجابة التي تحت أصحابها على العمل والمتابعة،
والاستمرار على النوافل، أخرج مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: " كنت
أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوءه وحاجته، فقال لي: "سل" فقلت: أسألك
مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك؟ قال: هوذاك، قال: "فأعني على نفسك بكثرة
السجود "

- بل كان الواحد منهم حريصاً على اللحاق به، شوقاً للقياه، أخرج أحمد في المسند
من حديث عائشة قالت: " إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال: أيّ يوم هذا؟ قالوا:
يوم الإثنين، قال: فإن متّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحب الأيام والليالي
إليّ أقربها من رسول الله ﷺ "

ولما حضرت بلال - رضي الله عنه - الوفاة، نادى امرأته: وا حزناه، فقال:
وا طرباه، غداً ألقى

الأحبة؛ محمد وحزبه..

وجاء مثل هذا عن حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر- رضوان الله عليهم -..

وبعد هذا، هل أنت مشتاق إلى رؤياه، حريص على شرف صحبته، والأنس
بالقرب منه، فما بالي أراك عن هديه معرض، قدّمت غيره عليه، تلهث لرضاه،
وتحاول كسب مبتغاه، ثم تزعم محبة نبيك وشوقك له، إن الحب والشوق ليست
شعارات تُردّد، ولا دعاوى تخلو من الحقائق، بل هما واقع يترجم صدق صاحبه،
ولهف اللحاق بمن أحبه، تجده مطيعاً لأمره ﷺ حافظاً لحديثه، متابعاً لهديه، مداوماً
على طاعته، مشتغلاً بنشر سنته، وليبشر؛ فقد اشتاق الحبيب ﷺ لرؤية من كان هذا
حاله، وسمّاه أخاه، وودّ لقاءه، أخرج مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

قال: "وددت أن قد رأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمّتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أنّ رجلاً له خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى، قال: "فإنهم يأتون غرّاً محجلين من الوضوء".

5/ أكثر من الصلاة عليه..

لقد أمرك ربك بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بأمر بدأ فيه بنفسه، ثم تثنى بملائكته، فامتثل أمره، يقول تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

بل ضاعف الله أجر من صلى على رسوله، وأجزل مثوبته، أخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي بردة بن ديار قال: قال رسول الله ﷺ "ما صلى عليّ عبد من أمّتي صلاة صادقاً بها في قلب نفسه إلا صلى الله عليه بها عشر صلوات، وكتب له بها عشر حسنات، ورفع له بها عشر درجات، ومحى عنه بها عشر سيئات " وقال عنه الألباني: حسن صحيح..

وأخرج أحمد في المسند من حديث أبي طلحة الأنصاري قال: جاء رسول الله ﷺ ذات يوم والبشر يرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشر في وجهك؟ فقال: " إنه أتاني ملك، فقال يا محمد إن ربك يقول: أما يرضيك أن لا يصلي عليك أحد من أمّتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك إلا سلّمت عليه عشراً؟ قال: بلى " وصححه الألباني..

ولله ملائكة سيّاحة خلقها الله لتبلغ رسول الله ﷺ سلام أمّته، أخرج النسائي وصحح الألباني من حديث ابن مسعود مرفوعاً قال: " إن لله ملائكة سياحين، يبلغوني عن أمّتي السلام "

- واعلم أنها سبب عرض اسم المصلي عليه ﷺ، وذكره

عنده، روى أبو الشيخ بن حيّان وحسن الألباني قوله ﷺ " إن لله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه الله أسماء الخلائق، فهو قائم على قبوري إذا متّ فليس أحد يصلي عليّ إلا قال: يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان، قال: فيصلّي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً "

- والصلاة عليه من أسباب شفاعته ﷺ، أخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً، ثم سلّوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله،

وأرجو أن

أكون أنا هو"

- وأولى الناس به ﷺ أكثرهم صلاة عليه، أخرج الترمذي من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة" ، وقال الألباني: حسن لغيره..

- والدعاء موقوف بين السماء والأرض ما لم يصلّ على رسول الله ﷺ، أخرج الترمذي وحسن الألباني من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - موقوفاً قال: " إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تصلّي على نبيّك ﷺ " "

- ومداومة الصلاة عليه سبب تفريج الهموم، وغفران الذنوب، أخرج الترمذي من حديث أبي بن كعب قال:

" كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام، فقال: يا أيّها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبيّ: قلت: يا رسول الله إنني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت، قال: قلت: الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا تكفى همّك، ويغفر لك ذنبك" قال الترمذي حسن صحيح، وحسنه الألباني..

قال ابن القيم: " سئل شيخنا أبو العباس بن تيمية عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأبيّ بن كعب

دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له من ربه صلاة عليه؟ قال: إن زدت فهو خير لك، فقال له: النصف؟ فقال: إن زدت فهو خير لك، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها، أيّ: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: "إذا تكفى همّك ويغفر ذنبك" لأنه من صلّي على النبي ﷺ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ومن صلّي الله عليه كفاه همّه، وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه "

- ومجلس لا يصلّي على رسول الله ﷺ فيه؛ حسرة على صاحبه يوم القيامة، أخرج الترمذي وصحّح الألباني من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: " ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيّهم، إلا كان عليهم ترة يوم القيامة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم"

- بل أبخل الناس من سمع ذكره الشريف، ولم يصلّ

عليه ﷺ، أخرج ابن أبي عاصم وصّح الألباني من حديث أبي ذرّ - رضي الله عنه - قال: خرجت ذات يوم، فأتيت رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم بأبخل الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "من ذكرت عنده ولم يصلّ عليّ فذلك أبخل الناس"

ودعى رسول الله ﷺ بالذل على من ذكر عنده ﷺ ولم يصلّ عليه، وقيل: بل هو إخبار منه، وسواء كان دعاء منه ﷺ فدعاؤه مُجاب، أو إخبار فخبّره صدق، أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله ﷺ قال: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة"

- ومن لم يصلّ على رسول الله ﷺ عند ذكره فقد أخطأ طريق الجنة، أخرج الطبراني وصّح الألباني من حديث حسين بن عليّ مرفوعاً: "من ذُكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة"

وأحيلك على "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام" لابن قيّم الجوزيّة - رحمه الله - فقد ذكر في كتابه ثمرات الصلاة على رسوله ﷺ، ومواطن الصلاة عليه، وصفتها في كتاب يمتع قراءه بمطالعتة، وقد وضع المؤلف أصابعه الرشيقية على التفاصيل كلها، فأبصر الموضوع من جميع زواياه، وقد أحلتك على مليء، ومن أحيل على مليء فليحتل، وأختم هذه الفقرة بفائدة قيّمة من كتاب ابن القيم - رحمه الله - يقول فيها:

" الصلاة عليه ﷺ من العبد دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربّه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه، ومهماته، وما ينوبه في الليل والنهار، فهذا دعاء وسؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه..

والثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه، ولا ريب أنّ الله تعالى يحبّ ذلك، ورسوله يحبّه، فالمصلّي عليه، قد صرف سؤاله، ورغبته، وطلبه إلى محابّ الله ورسوله، وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومحابّه، وآثر ما يحبّه الله ورسوله على ما يحبّه هو، والجزاء من جنس العمل، فمن آثر الله على غيره، آثره الله على غيره "

5/ تشرف بخدمة سنّته..

ولعلّي هنا أشدّ همّتك لتحرص على تتبع آثار رسول الله ﷺ، وتجتهد في طلبها وتحرص على سماعها، وتهتم بجمعها، وتنسب إليها، وتتعرف على آداب هذا الفنّ قبل الولوج ببابه، ولا شك أنّ على طالب العلم بعد الانتهاء من حفظ كتاب الله

أن يحرص على حفظ سنة رسول الله ﷺ؛ إذ أنها أسس الشريعة وقاعدتها، يقول الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ويقول: (وما ينطق عن الهوى)

يقول البخاري - رحمه الله - "أفضل المسلمين رجل أحيأ سنة من سنن رسول الله ﷺ قد أميتت، فاصبروا يا أهل السنن رحمكم الله؛ فإنكم أقل الناس"

قال البغدادي: قول البخاري: إن أصحاب السنن أقل الناس، عني به الحفاظ للحديث، العالمين بطرقه، المميزين لصحيحه من سقيم، وقد صدق - رحمه الله - لأنك إذا اعتبرت لم تجد بلداً من بلدان الإسلام يخلو من فقيه أو متفقه يرجع أهل مصره إليه، ويعولون في فتاواهم عليه، وتجد الأمصار الكثيرة خالية من صاحب حديث عارف به، مجتهد فيه، وما ذاك إلا لصعوبة علمه وعزته، وقلة من ينجب فيه من سامعيه وكتبتيه، وقد كان العلم في وقت البخاري غصاً طرياً، والارتسام به محبوباً شهياً، والدواعي إليه أكبر، والرغبة فيه أكثر، فكيف نقول في هذا الزمن؟! مع عدم الطالب، وقلة الراغب..

وقد كنا نعدهم قليلاً

فقد صاروا أقل من القليل

وأقول،، فكيف لورأى البخاري، والبغدادي أهل زماننا، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

فاحرص على الانضمام - حفظك الله - إلى أهل السنن، واحفظ سنة حبيبك حفظ رعاية ورواية، وقم بنشرها، وتبليغها؛ فإنه حق من حقوق رسولك ﷺ عليك..

- أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " يقول الحافظ: "قال في الحديث " ولو آية " أي: واحدة، ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما يقع عليه من الآي ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ " فكم من حديث قرأت؟! بل حفظت؟! بل بلغت؟!!!!!

بل أمر صحابته رضي الله عنهم - أن يبلغوا سننه في حجة الوداع، فقال يوم النحر فيما أخرج البخاري من حديث أبي بكر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "ليبغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه" وعليه بوب البخاري " ليبغ العلم الشاهد الغائب"، يقول الحافظ: " ليبغ الشاهد، أي: الحاضر في المجلس الغائب عنه، والمراد: إما تبليغ القول المذكور (أي: خطبة يوم النحر في حجة الوداع) أو تبليغ جميع أحكامه " فاحذر وققك الله أن تكون حاضراً كغائب، أو عالماً كجاهل..

- وقد دعى رسول الله ﷺ بالنضرة لطلاب الحديث، أخرج ابن ماجة وصحّ الألباني من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ " نضّر الله عبداً سمع مقالتي، فوعاها ثم بلغها عني، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه" وزاد أبو داود بسند صحيح "فحفظه" فحوى الحديث مراتب العلم الأربع:

1/ السماع.. 2/ الفهم.. 3/ الحفظ.. 4/ الأداء..

أهل الحديث طويّلة أعمارهم

ووجههم بدعا النبيّ منضرة

يقول سفيان بن عيينة: "لا تجد أحداً من أهل الحديث إلا في وجهه نضرة، لدعوة النبيّ ﷺ" - أهل الحديث هم وصيّة رسول الله ﷺ، أخرج ابن ماجة، وحسن الألباني من حديث أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: "سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتوهم فقولوا لهم: مرحباً بوصيّة رسول الله ﷺ وأفتوهم" قلت للحكم - أحد رواة الحديث -: ما أفتوهم؟ قال: "علّموهم" ..

وقد كان أبو سعيد - رضي الله عنه - يقول لمن جاءه من طلبه العلم: "مرحباً بوصيّة رسول الله ﷺ"

- أهل الحديث حماة الدّين يذبون عن السنن، ويبينون صحيحها من سقيمها، يقول سفيان الثوري: "الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض"، ويقول يزيد بن زريع: "لكلّ دين فرسان، وفرسان هذا

الدّين أصحاب الأسانيد"

- أهل الحديث ورثة الرسول ﷺ فيما ترك من السنّة، وبينما ابن مسعود - رضي الله عنه - يوماً معه نفر من أصحابه إذ مرّ أعرابي، فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ يقسمونه..

فإذا اشتغل النَّاس بقسمة الدرهم والدينار فاشتغل بقسمة قال الله تعالى وقال رسول الله ﷺ ..

العلم ميراث النبيّ كما أتى

في النّصّ والعلماء هم ورّائه

ما خلف المختار غير حديثه

فينا فذاك متاعه وأثّاه

- أهل الحديث الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة،
أخرج البخاري من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله
ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتهم أمر الله وهم ظاهرون"

يقول ابن المبارك: "هم عندي أصحاب الحديث" وقال الإمام أحمد: "إن لم يكونوا
أصحاب الحديث فلا أدري من هم"، وكذا قال ابن المديني..

وتأمل كيف حاز السلف الصالح - رضوان الله عليهم - في هذا الباب أعلى الرُتب،
فقد كان عمر - رضي الله عنه - يتناوب مع جاره الأنصاري لحضور مجلس
رسول الله ﷺ، فيذهب أحدهم لطلب الرزق لكفاية أهله، ويبقى الآخر لطلب العلم
لنجاة نفسه وأهله، فيخبر كل منهما صاحبه بما لم يحضره، وعليه بؤب
البخاري: "باب التناوب في العلم"

- وفاق ابن عباس قرنائه، وصار حبر الأمة لما جدّ واجتهد في حفظ السنن، يقول
- رضي الله عنه -: "كنت ألزم الأكاير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين
والأنصار، فأسألهم عن المغازي، وما نزل من القرآن في ذلك وكنت لا آتي أحداً
إلا سرّ باتياني لقربي من رسول الله ﷺ"

- ورحل جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس -
رضي الله عنه - في حديث واحد، أخرج المقدسي في المختارة أنّ جابر بن عبد الله
بلغه حديثاً عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ سمعه من رسول الله ﷺ لم يسمعه
منه، فابتاع بعيراً، فشدّ عليه رحله، فسار إليه شهراً حتى أتى الشام، فإذا هو بعبد
الله بن أنيس الأنصاري، فأرسل إليه أنّ جابر على الباب، قال: فرجع إليه الرسول
فقال: جابر بن عبد الله؟ قال: نعم، فجاء إليه فاعتنقه، وقال له جابر: حديثاً بلغني
أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل
أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يحشر الله العباد عراة غرلاً
بهما....."

- ورحل أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - من المدينة إلى عقبة بن عامر -
رضي الله عنهما - وهو في مصر ليروي عنه حديثاً لم يبق أحدٌ سمعه من رسول الله
ﷺ إلا هو، وهو قوله عليه الصلاة والسلام:
"من ستر علي
مسلم ستره الله يوم القيامة"

- وقال سعيد بن المسيّب: "كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد"

أيها الكريم انظر إلى علوهمّتهم في الطلب، كيف رحلوا الليالي والأيام لطلب
حديث واحد، وقارن بينهم وبين همّتك، الكتب عن يمينك وشمالك، وتأتيك دروس
الحديث إلى بيتك، فإلى متى ترغب عن الطلب وتتشاغل عن حفظ السنن!!

أترضى أن يسبقك القوم، وأنت في مؤخرة الركب وينالوا قرب المجلس من الرسول ﷺ؟! ولم يؤخرك إلا عملك، فالبدار البدار..

- وإن سألت عن حفظهم الأحاديث النبوية، فقد قال أبو زرعة: " كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث - أي: مليوناً - فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته وأخذت عليه الأبواب "

وقال سليمان بن شعبة: "كتبوا عن أبي داود أربعين ألف حديث وليس معه كتاب" وقال الشافعي: "حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين"

وإن سألت عن قراءتهم في كتب الحديث، فقد جاء في ترجمة الفيروزبادي صاحب القاموس أنه قرأ صحيح مسلم في ثلاثة أيام بدمشق وأنشد:

قرأت بحمد الله جامع مسلم

بجوف دمشق جوف الإسلام

وتمّ بتوفيق الإله وفضله

قراءة ضبط في ثلاثة أيام

وقرأ الحافظ ابن حجر في رحلته الشامية "معجم الطبراني الصغير" في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، ويشتمل هذا الكتاب على وخمسمائة حديث..

فارسم - أعانك الله - لك منهجاً في طلب الحديث وعلومه، فإنك إن أتقنت هذا الفن ستجد نفعه في دنياك وآخرتك متى أخلصت الطلب، وستفوق قرنائك، وفي إمام أهل السنة والجماعة، وإمام المحدثين مؤلف الكتاب الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله، البخاري لك سلف، فهل ستكون خير خلف؟!!

فابدأ بالأربعين للنووي، ثم عمدة الأحكام للمقدسي، ثم بلوغ المرام لابن حجر، والمنتقى للمجد ابن تيمية - رحمهم الله تعالى - ثم ادخل في قراءة الأمهات الست وغيرها، مع العناية بشروح كل كتاب..

وإن رُمت أبواب الأدب فاقرأ "الأدب المفرد" للبخاري، وإن طلبت السير ومعرفة المغازي فمختصر السيرة النبوية للشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب، أو الرحيق

المختوم للمباركفوري فقد أجاد صاحبه فيه
وأفاد..

وإن أردت معرفة أحاديث الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال فكتاب المنذري
"الترغيب والترهيب" وقد عمل الألباني - رحمه الله - على أحاديثه في كتابه
صحيح الترغيب والترهيب وضعيفه..

وفي أدب طلب الحديث اقرأ "الجامع لأدب الراوي وأخلاق السامع" للبغدادي..

وفي حقوق المصطفى ﷺ عليك بقراءة "الشفاء" للقاضي عياض..

- وتأمل حنين الجذع لحديثه ﷺ، فوا حسرتاه لقلبك إن

حنّ الجذع إليه، ولم تحدّث نفسك يوماً بسماع حديثه!!!

أخرج ابن خزيمة من حديث أنس - رضي الله عنه - أن

رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد،
فيخطب، فجاء رومي، فقال: ألا نصنع لك شيئاً تقعد، وكأنك قائم؟ فصنع له منبراً
له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد النبي ﷺ على المنبر خار الجذع خوارج
الثور، حتى ارتج المسجد بخواره حزناً على رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ من
المنبر فالتزمه وهويخور، فلما التزمه سكت، ثم قال: "والذي نفسي بيده لولم
ألتزمه ما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله ﷺ" فأمر به فدُفِن،
وفي خبر جابر قال النبي ﷺ: " إن هذا

بكي لما فقد من الذكر "صححه الألباني..

يقول الحسن البصري: "يا معشر المسلمين،، الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً
للقائه، فأنتم أحقّ أن

تشتاقوا إليه".

6/ (وتوقّروه)

يقول تعالى: (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه)

وقد حوت الآية حقوقاً ثلاثة لرسول الله ﷺ: الإيمان به وقد مضى، وتعزيره سيأتي،
وإليك معنى توقيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " التوقير: اسم جامع لكلّ ما فيه
سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم
بما يصونه عن كلّ ما يخرج به عن حدّ الوقار "

فالتوقير معناه التعظيم، والإجلال والتفخيم..

ومعلوم أنّ حقوق رسول الله ﷺ أجلّ، وأعظم، وأكرم، وألزم علينا من حقوق السادات على مماليتهم، والآباء على أولادهم، فحقّ علينا أن نحبه ونجلّه أكثر من إجلال كل عبد سيّده، وكلّ ولد والده، وبمثل هذا نطق القرآن الكريم..

- يقول تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) يقول شيخ الإسلام: "خصّ الله نبيّه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد... ولكن يقولوا: يا رسول الله، وكيف يخاطبونه بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قطّ بل يقول: (يا أيّها النبي قل لأزواجك...) (يا أيّها النبي اتّق الله.....) مع أنّه سبحانه قال: (وقلنا لأدم اسكن أنت وزوجك الجنة....) وقال: (يا نوح إنه ليس من أهلك....) وقال: (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك.....) أمّا إذا كنّا في مقام الإخبار عنه، قلنا: "أشهد أنّ لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله" فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله سبحانه عنه فقال: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وقال: (محمد رسول الله والذين معه)

فالفرق بين مقام المخاطبة والإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل.."

واقراً سورة الحجرات ترى وجوب مراعاة الآداب النبويّة مع رسول الله ﷺ يقول تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يا أيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضاً أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغيظون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم بالتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم)

فأول أدب: تحريم التقدّم بين يديه بكلام حتّى يأذن، ولهذا كان رسول الله ﷺ يسأل الصحابة عن اليوم الذي هم فيه، والمكان الذي هم فيه، وهم يعلمونه حقّ العلم، فيتحرّجون أن يجيبوا إلاّ بقولهم: الله ورسوله أعلم، خشية أن يكون في قولهم تقدّم بين يديّ الله ورسوله، وحديث خطبة النحر في حجّة الوداع أكبر شاهد على هذا..

الثاني: حرّم رفع الصوت فوق صوت النبيّ، وأن يجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة من عداه، وهذا في حياته وبعد مماته ﷺ، وسمع عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - صوت رجلين في مسجد النبيّ ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء

فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالوا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل لمدينة لأوجعتكما ضرباً..

قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام؛ لأنه محترم حياً وميتاً..

وحدّثهم إن هم فعلوا ذلك أن تحبّط أعمالهم وهم لا يشعرون..

وكان عبد الرحمن بن مهديّ إذا قرأ حديث النبيّ ﷺ أمرهم بالسكوت وقال: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ، ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله..

فاحذر أن ترفع صوتك عند نقل حديثه، أو في مسجده، أو تذكره كذكر آحاد الناس، وقد جاءت سورة الحجرات بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي ﷺ، وإظهار رفعة قدره المنيف، وسمو منزلته ﷺ فوق منزلة كل أحد من الخلق؛ ليستشعر المؤمن بقلبه، وروحه، وكافة إحساساته، ومشاعره ما أوجبه الله تعالى من توقيره ﷺ توقيراً يجلي رفيع قدره، وعظيم مقامه..

ومن عظيم شأن رسول الله ﷺ أن حدّر الله من إيذائه أشدّ التحذير فقال: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)..

فانظر كيف قرن الله أذى رسوله بأذاه فمن آذاه فقد آذى الله، ومن آذى الله كفر، وتأمّل تفريقه سبحانه بين أذى الله ورسوله وأذى المؤمنين، فجعل على هذا البهتان والإثم المبين، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة والعذاب المهين، ومعلوم أنّ أذى المؤمنين من كبائر الإثم، وليس فوق ذلك إلا الكفر، ثم إن سبّ الرسول ﷺ تتعلق به حقوق عدّة:

1/ حقّ الله سبحانه ؛ لأن الطعن في الرسول طعن في المرسل؛ ولأن مبارزة رسول الله ﷺ مبارزة لأفضل أولياء الله..

2/ حقّ المؤمنين من هذه الأمة ، لأنّ جميع أمور المؤمنين في دينهم ودنياهم وأخرتهم قامت بواسطته وسفارته، فالسبّ له أعظم عندهم من سبّ أنفسهم وأبائهم وأبنائهم..

3/ حقّ رسول الله ﷺ من حيث خصوص نفسه ، فإن الإنسان تؤذيه الواقعة في عرضه أكثر ممّا يؤذيه أخذ ماله.

فإلى كل من لم يوقره ﷺ حق توقيره، أو آذاه برد سنته، أو الوقوع في عرضه
وشره، ويل أمه كيف تعلقت ثلاثة حقوق في رقبتة؟؟!!!!

وقد فطن السلف الصالح لهذا الأمر، فالتزموه قولاً وعملاً في حياته وبعد مماته،
وما أبلغ ما قاله عروة ابن مسعود - رضي الله عنه - في وصف أصحابه حين
وجهته قريش إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: " أي قوم،
والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن
رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ حمداً، والله إن انتخم
نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا
أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوءه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده،
وما يحذون إليه

النظر تعظيماً.. "

ويطالعك دائماً في وصف صحابته - رضوان الله عليهم - في مجلسه " كأن على
رؤوسهم الطير " توقيراً له..

وأخرج البيهقي عن بريدة بن الحبيب - رضي الله

عنه - قال: " كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظاماً له.. "

وأخرج البخاري وصحح الألباني عن أنس " أن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع
بالأظافر "

ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ ليشد في عقد صلح الحديبية، ويزيد
في المدّة، قدم المدينة ودخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش
رسول الله ﷺ طوته، فقال: يا بنيّة ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت
به عني؟؟ فقالت: هو فراش رسول الله، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس
على فراشه، ولما رجع أبو سفيان لأهل مكة قال لهم: وقد تتبعت أصحاب محمد فما
رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له..

ولا تعجب لحال أصحاب محمد ﷺ فإنه كان أرحم الخلق، وأرأفهم بهم، وأنفعهم
لهم، أفصح خلق الله، وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة،
وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة،
وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدّهم تواضعاً، وأعظمهم إثارة على
نفسه، وأشدّ الخلق ذباً عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما
يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، أوصل الخلق رحمة، وأجودهم صدراً، وأصدقهم

لهجة، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه..

وقد خصّه الله بصفتين خصّ بهما أهل الصدق والإخلاص وهما: الإجلال، والمحبة، فكان كل من يراه يهابه ويجلّه، ويملاً قلبه تعظيماً وإجلالاً وإن كان عدواً له، فإذا خالطه وعاشره كان أحبّ إليه من كلّ مخلوق، فهو المجلّ المعظم، المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقترن بالتعظيم والهيبة..

واستمرت محبته ﷺ عند أصحابه ومن تبعهم بإحسان بعد مماته فكان أحدهم يغضب على أقرب الناس إليه إن خالف قوله ﷺ، فها هو ابن عمر - رضي الله عنه - يحدث عن حبه فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها" فيعترض أحد أبناءه بلال على أن الزمن تغير، ونسائه اختلفن فيقول: والله لنمنعهنّ، وفي رواية: لا ندعهنّ يخرجن، فيتخذنه دغلاً... فما موقف أبيه؟! يقول الراوي: فسبه عبد الله سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهنّ؟! وفي رواية: فضرب في صدره.. وعند أحمد: فما كلمه عبد الله حتى مات..

وكيف لا يكون هذا موقف ابن الفاروق؟! والله تعالى يقول: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وأخرج ابن ماجة وصحّ الألباني أن قريبا لعبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - خذف فنهاه، وقال: "إن النبي ﷺ نهى عن الخذف وقال إنها لا تصيد صيدا، ولا تنكأ عدوا، ولكنها تكسر السن، وتفقأ العين" وعاد قريبه للخذف أخرى فقال له عبد الله: "أحدتكَ عن

رسول الله ﷺ ثم تعود، لا أكلمك أبداً"

وجاء عن عدد من الأئمة أنهم كانوا لا يحدثون عن رسول الله ﷺ إلا على وضوء، منهم: قتادة، وجعفر بن محمد، ومالك بن أنس، والأعمش، بل صار ذلك مستحباً عندهم وكرهوا خلافه، يقول ضرار ابن مرة: "كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله ﷺ وهم على غير وضوء"

وقال أبو سلمة الخزاعي: "كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أعظم به حديث رسول الله ﷺ" وقال ابن أبي الزناد: "كان سعيد بن المسيّب وهو مريض يقول: "اقعدوني، فإني أعظم أن أحدث حديث رسول الله ﷺ"

وأنا مضطجع"

وكان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك فإذا جاء الحديث خضع..

وسئل مالك عن أيوب السختياني فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أوثق منه، قال مالك: وحجّ حجّتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي كتبت عنه..

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ تغير لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقل له يوماً في ذلك فقال: لو علمتم ما علمت لما أنكرتم عليّ ما ترون..

وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ

فينظر إلى لونه كأنه نرف منه الدم، وقد جفّ لسانه

في فمه، هيبة لرسول الله ﷺ، وكان يأتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دمعة..

نرف البكاء دموع عينك فاستعر

عيناً لغيرك دمعها مدرار

وكان الزهري من أهنأ الناس فإذا ذكر عنده الرسول ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته..

ولم يك التوفير مقتصراً على الإنسان فحسب بل كان للحيوان أدب جم معه ﷺ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتدّ، وأقبل وأدبر، فإذا أحسّ برسول الله ﷺ دخل ربض، فلم يترمرم ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه " أخرجه أحمد، وصحّ إسناده ابن كثير..

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: "ركبت البحر، فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد، فأقبل إليّ يريدني، فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد وطأ رأسه، ودفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووقفني على الطريق، ثم همهم، فظننت أنه يودعني " رواه الحاكم وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي..

يقول ابن سيّد الناس:

والليث أنوى في سفينة مفردا

بالـروم في فيفاء قفر بلقع

ما زال يكـلوه إلا أن دلّه

عند الأمان على سواء المشرع

وحقّ لي أن أتساءل بعد هذا كلّه: أين نحن من سيرة القوم؟! وأين حالنا من حالهم؟!!

لقد قام في قلوبهم ما قصرت هممنا عن أن تقوم بأقلّه، وأحيوا في شعورهم ما ماتت مشاعرنا دونه، وتعلّقت أبصارهم فيما وراء الطرف في حين لم تتجاوز أبصارنا أطرافنا، ألا رجل أو امرأة لم تقعد بهم همتهم، ولم يتأخر بهم عملهم؟! ألا صادق يترجم المحبّة قولاً وعملاً وغيره؟! والإلا....

فكلُّ يدّعي وصلاً بليلي

وليلي لا تقرّ لهم بذاكا

أين توقير رسول الله ﷺ في قلوب الخلق باستشعار هيئته ﷺ، وجلالة قدره، وعظيم شأنه، واستحضار محاسنه، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله، وكلّ مامن شأنه أن يجعل القلب ذاكرة لحقه من التوقير والتعزير، ومعتزفاً به، ومطيعاً له، فالقلب ملك الأعضاء، وهي له جند وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقر في القلب، مسطوراً فيه على تعاقب الأحوال، فإنّ آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتماً لا محالة، وحينئذ ستجد اللسان يجري بمدحه، والثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربّه، وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير، ومن أعظم الثناء عليه الصلاة والسلام عليه، فالصلاة منّا عليه تتضمن ثناء المصلّي عليه، والإشارة بذكر شرفه وفضله، وإرادة

من الله تعالى أن يعلي ذكره.

ومن تعظيم اللسان أن نتأدّب عند ذكره بألسنتنا، وذلك بأن نقرن ذكر اسمه بلفظ النّبوة أو الرسالة مع الصلاة والسلام عليه، ومن تعظيم اللسان حفظ سنّته، وتبليغها، والدعوة إليها.

وأما تعظيم الجوارح فالعمل بشريعته، والتأسي بسنته، والأخذ بأوامره ظاهراً
وباطناً وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها، والرضا بحكمه والتسليم له،
والمولاة والمعادة لأجله، وجهاد من خالفه..

فأين توقيير الرسول ﷺ عند من ابتدع في دين الله ما ليس منه زاعماً أنه محب
مشتاق، وغفل عن قول رسول الله ﷺ: " من رغب عن سنتي فليس مني " وقوله
ﷺ " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " فإلى من أحيا ليلة المولد، ومن
اجتمع في الحفلات ضاربا الدف على المدائح النبوية علام تفعل ما لم تؤمر به؟؟!
وتخالف أمر رسول الله ﷺ حيث أمرك بالاتباع، وترك الابتداع، وأنت تزعم حبه،
وهل لو كان خيرا لسبقت إليه القوم؟! فتأمل حالك، والزم هدي نبيك، هداك الله
ووفقك وأعانك وسددك..

وأين توقيير رسول الله ﷺ في مجالسنا حين يذكر، وأين الصلاة والسلام عليه عند
مرور اسمه الشريف، وكيف تقدم آراء الرجال على قوله مع أن الله نهى أن نقدم
بين يدي الله ورسوله فقال: (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وكان ابن عباس
ينكر على من يعارض ما بلغه من السنة بقوله: قال أبو بكر وعمر قائلًا له: "
يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال
أبو بكر وعمر؟؟! " فرحم الله ابن عباس رضي الله عنه فوالله لو شاهد خلفنا هؤلاء
الذين إذا قيل لهم قال رسول الله، قالوا: قال فلان وفلان لمن لا يداني الصحابة، ولا
قريبا من قريب. وقد قال الشافعي: "إذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم
فخذوا به، واضربوا بقولي عرض الحائط"

أين توقيير رسول الله والواحد منا يحفظ آلاف الآيات ولا يحفظ أربعين حديثا من
أحاديثه؟؟!!

أين توقيير رسول الله ﷺ حين يشكك في قوله، أو ينزل

على عصره وكأنه لم يبعث رحمة للعالمين، وكافة للناس أجمعين.

أين توقيير رسول الله ﷺ حين يروى الضعيف من الحديث ويترك الصحيح، وتتبع
شواذ الأحاديث وموضوعاتها وتنشر مع أن في الأحاديث الصحيحة غنية، أخرج
ابن ماجة وصحح الألباني من حديث علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "
من حدث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين "

أين توقيير رسول الله حين يتلاعب بمعاني الأحاديث النبوية بحجة قراءة النص
أكثر من قراءة، وتوسيع مفاهيم النصوص من جاهل لا يمتلك أدوات الاجتهاد
فضلا عن شروطه..!!!

يقول ابن القيم رحمة الله : " ومن الأدب معه ألا يستشكل قوله، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلقى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا، نعم! هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم، بل هو عين الجرأة"

دعوا كل قول عند قول محمد

فما آمن في دينه كمخاطر

أين توقير رسول الله ﷺ وأنت ترى في مسجده، وعند حجرته رفع الصوت، واللغط، والاشتغال بقبل وقال، كأن الحرم ليس حرمة، وكأن عمر بن الخطاب لم يهم بضرب الطائفين على رفعهما لصوتهما في مسجده ﷺ، ولن يضربهما إلا عن مخالفة، فتنبه إن كنت في مسجده، وأحسن جواره، واحذر أن يحبط عملك وأنت لا تشعر، وحذر من رأيته غلا في شخصه فدعاه من دون الله عند قبره، أو تمسح بجدر الغرفة؛ لأنه أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما تراه هو عين المحادة لأمره.

أيها المحبّون لقد تباعد بنا الزمن، واستتسرت الفتن، واشتغل الأكثرون بالحطام من المهن، وغاب عنا الحب وإن ادعينا، ونسينا الواجبات فكانت من أحاديث الذكريات، نتحدث عن الهدي النبوي ولكن أين هو الجاد في الاتباع، الصادق في الاقتفاء؟!!!!

7 نكري دون نرك يا رسول الله ﷺ:

ﷺ:

يقول الله تعالى أمرا المؤمنين في حق رسوله (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه)

يقول شيخ الإسلام: " فالتعزير اسم جامع لنصره، وتأنيده، ومنعه من كل ما يؤذيه " وقد حكم الرب بفلاح من نصره وعزره بعد أن وصفه بالإيمان فقال: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

ومن أعظم دلائل المحبة والإجلال نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم

الصادقون) فالصادق في دعوى محبته من برهن عليها

ببذل ماله وأهله ونفسه لنصرة الله ورسوله..

ولقد سطر الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة، وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله ﷺ، وفدائه بالمال والولد والنفس، في المنشط والمكره والعسر واليسر، وكتب السير عامرة بذكر أخبارهم، وحسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم، وإلى بعض روائع سيرهم..

- أبوبكر بيكي يوم الهجرة حين لحق سراقة بن مالك برسول الله ﷺ وصاحبه، فيسأله رسول الله ﷺ: " لم تبكي؟ " يقول: " أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك " فدعا رسول الله على سراقة فقال: " اللهم اكفناه بما شئت " فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد. بل كان أبوبكر ينتقل عن يمين وشمال وخلف

وأمام رسول الله ﷺ في طريق الهجرة، فتعجب رسول الله ﷺ من فعله، فسأله عنه، فقال - رضي الله عنه -: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، وأذكر الرصد فأكون أمامك، ومرّة عن يمينك، ومرّة عن شمالك، لا أمن عليك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم " يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟ " قال: نعم والذي بعثك بالحق..

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى الغار، وأراد أن ينزل فيه قال له الصديق: مكانك حتى أستبرئ لك، فإن كان به أذى نزل بي قبلك، فنزل فتحسس من الغار فلم يجد به شيئاً، فنزل رسول الله ﷺ وقد بلغ منه الإعياء والتعب مبلغه، فما أن دخلا حتى توسد رسول الله ﷺ قدم أبي بكر ونام، وكان الصديق يأخذ من ثوبه، ويسد أي جحر مخافة أن يكون فيه شيء من الهوام فتؤذي رسول الله ﷺ، فتنبى منها حجر فألقمه عقبه، وكانت به حية فلدغته، فمنعه مكان رسول الله ﷺ أن يتململ، ولكن الألم اشتد به، وتحدّرت دموعه، فسقطت على وجه رسول الله ﷺ فاستيقظ، فقال " مالك يا أبا بكر؟ " قال: لدغت. فنفت عليها رسول الله ﷺ فبرئت بإذن الله..

- وقاتل طلحة بن عبيد الله قتال أحد عشر رجلاً كانوا حول رسول الله ﷺ وقتلوا في سبيل الله، حتى ضربت يده ففقطعت أصابعه فقال " حس " فقال رسول الله ﷺ: " لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة

والناس ينظرون " .

أي قوم أولئك القوم أحد عشر رجلاً كلهم يفدي حبيبه ﷺ بنفسه، ويبقى الثاني عشر طلحة بن عبيد الله يقاتل قتال الأحد عشر، وتشل يده؛ لكثرة ما وقى بها رسول الله ﷺ، أخرج البخاري عن قيس قال: " رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد " . بل وأصيب رضي الله عنه ذلك اليوم ببضع وسبعين طعنة ورمية وضربة،

ولذا قال عنه أبوبكر "

ذلك كله يوم طلحة .."

- وها هو أبوظلحة بقي رسول الله ﷺ بنفسه يوم أحد، يقول أنس: " لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ وأبوظلحة بين يدي النبي ﷺ محبوب عليه بجحفة " وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول رسول الله ﷺ له: " انثرها لأبي طلحة " ويشرف رسول الله ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبوظلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف؛ يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك "

و" نحري دون نحرك " إما خبر منه رضي الله عنه أي: أقف أمامك بحيث إن السهم إذا جاء يصيب نحري ولا يصيب نحرك. أو أنه قصد الدعاء، أي: جعل الله نحري أقرب إلى السهام من نحرك، لأصاب دونك ..

- وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم أحد لما

انكشف المسلمون: " اللهم إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بينانه ..

- وكان لأم عمارة نسيبة بنت كعب موقف مشهود يوم أحد حتى قال رسول الله ﷺ عنها " ما التفت يمينا وشمالا إلا وأراها تقاتل دوني " ووقفت في وجه ابن قمئه لما جاء باحثا عن رسول الله ﷺ قائلا: " لا نجوت إن نجا " حتى ضربها ضربة في عاتقها، خلفت جرحا أجوف له غور، ليبقى هذا الجرح للأمة يخلد دور المرأة في نصره رسول الله ﷺ والذب عنه ..

وهاهوشوخ الإسلام يؤلف كتابا على اسمه الصارم المسلول للتصدي لشاتم الرسول، ولنصرة رسول الله ﷺ، والذب عن شريعته ..

ولا تحسب أن النصره مقصورة على الإنسان، بل كان

للحيوان دور عظيم في الدفاع عنه ﷺ، فقد أخبرته الذراع التي قدمتها اليهودية ضيافة له ﷺ "أنها مسمومة" فقال لأصحابه " ارفعوا أيديكم، فإنها أخبرتني أنها مسمومة "

وضنت شاة ذبحت بغير إذن أهلها برسول الله ﷺ أن يأكل من مال مشبوه، أخرج أبو داود عن رجل من الأنصار أن امرأة دعت رسول الله ﷺ فجاء، وجيء بالطعام، فوضع يده، ثم وضع القوم فأكلوا، فنظر أبؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة في فمه. ثم قال " أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها " فأرسلت المرأة، قالت: يا رسول الله، إني أرسلت إلى البقيع ليشتري لي شاة فلم أجد، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة: أن أرسل إلي بها بثمنها، فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته، فأرسلت إلي بها، فقال رسول الله ﷺ: "أطعميه الأسارى ". وفي بعض طرق الحديث إخبار الشاة له ﷺ.

وفي خبر الشاة عبرة للمعتبر؟!!!!

بقي رسالة لابد حفظك الله – أن تصلك، وهي أن

الله ناصر نبيه لا محالة، لأن قوله تعالى صدق يقول: (**إلا تنصروه فقد نصره الله**) ويقول (**إنا كفيناك المستهزئين**) فما كاد رسول الله ﷺ أحد إلا عوقب شر عقاب، والسير طافحة بخبر كفاية الله لرسوله ﷺ؛ لكنه اختبار من الله لخلقه؛ ليعلم من ينصره ورسله بالغيب، والواقع يبرهن لك انقسام الناس حيال هذا الاختبار إلى صادق في حبه أو خلاف ذلك..

وإليك نماذج أذكرها لك لتطيب نفسك، ويطمئن خاطرك بقرب نصر الله لنبيه ﷺ وإجزال الثواب لك في صدق نيتك، وعظيم غيرتك، أخرج البخاري من حديث أنس قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً [وعند مسلم: فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، فرفعه] فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، [وعند مسلم: قالوا: كان هذا يكتب لمحمد، فأعجبوا به] فأماته الله، فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، وقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا من فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه" ..

يقول شيخ الإسلام: " فهذا الملعون الذي افتري على النبي أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله، وفضحه بأن أخرجه من قبره بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ عامّة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من الارتداد، إذ كان عامّة المرتدّين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ﷺ ممن طعن فيه وسبّه، ولكذب الكاذب إذا لم يمكن للناس أن يقيموا عليه الحد "

وذكر القاضي عياض قصة عجيبة لساخر بالنبي

ﷺ، وذلك أنّ فقهاء القيروان وأصحاب سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم، وكان يستهزأ بالله وأنبيائه ونبيينا محمد ﷺ، فأمر القاضي يحيى بن عمر بقتله وصلبه، فطعن بالسكين وصلب منكساً، ثم أنزل، وحكا بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي، استدارت وحوّلت عن القبلة، فكان آية للجميع، وكبرّ الناس، وجاء كلب فولغ في دمه..

– بل إن الله لينصر أوليائه على أعدائه إذا نال الأعداء من حبيبتنا ﷺ، يقول شيخ الإسلام في الصارم المسلول بعد أن ذكر تجارباً بخصوص ما لحق من سبّ رسول الله ﷺ: " ونضير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عمّا جربوه مرّات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنّا نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهوممتع علينا، حتّى نكاد نياس منه، حتّى إذا تعرّض أهله لسبّ رسول الله ﷺ والوقية في عرضه، تعجّلنا فتحه وتيسّر، ولم يكذب تأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتّى إنّنا كنتنا لتتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ﷺ، مع امتلاء القلوب غيظاً بما قالوه فيه" ..

وبعدما تقدّم أدرك وجوب النصر لنبّيه وإلا تنصره فإن الله ناصره، ونصرتك لرسول الله ﷺ إمّا دفع أو رفع، والأولى منهما تكون بتعليم الناس سنته وتعريفهم به، ودعوتهم إلى الإيمان برسالته، والثاني يكون بالدفاع عن شخصه الكريم ﷺ، وعن أقواله بتميز صحيحها من سقيمها، وردّ شبهات المبطلين حولها، وتحذير من يستهزء بما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه من مسلمات كالحجاب، واللحية، ورفع الإزار فوق الكعبين، والأمر بموالاته من والى الله ورسوله، ومعاداة من عادى الله ورسوله..

والاستهزاء بالسنة الصحيحة الثابتة كفر يخرج من الملة، قال تعالى: (ولئن سألتهم ليقولنّ إنّما كنّا نخوض ونلعب قلّ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين)

واعلم - وفقك الله - أنّ التهاون في الذّب عن رسول الله ﷺ وشريعته من الخذلان الذي يدلّ عليه ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية فمن ادّعى الحبّ ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمة، وعرضه، وسنته فهو كاذب في دعواه، إذ لو كان صادقاً لانتصر، قال محمد ابن المرتضى: " إن المحامي عن السنة الذابّ عن حماها، كالمجاهد في سبيل الله، يعدّ للجهد ما استطاع من الآلات والعدة والقوة، كما قال

سبحانه

(وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة) ، وقد ثبت في الصحيح أنّ جبريل كان مع حسّان بن ثابت يؤيده ما نافح عن رسول الله ﷺ في أشعاره، فكذاك من ذبّ عن دينه وسنّته من بعده إيماناً به وحبّاً ونصحاً له.."

وفي نهاية المطاف سأوصيك بوصايا تجعلك بإذن الله فاعلاً في خدمة دين الله وسنّة رسول الله ﷺ، ناصرّاً لمن أمرك ربك بنصره:

1/ قراءة تفسير سورة الحجرات، وأواخر سورة النور فقد حوت آداباً عظيمة في التعامل مع الرسول ﷺ وسنّته..

2/ العزم على قراءة كتاب في الحديث النبوي وآخر في السيرة النبوية لمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حق معرفته، وما يتعلّق بأحواله وأيامه وسنّته وهديه، وقد ذكرت لك فيما تقدم بعض الكتب النافعة في بابها.

3/ توزيع الأدوار على أفراد أسرته وطلابك في مدرستك بحيث يكتب كل واحد منهم حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ كل يوم في مكان بارز يخصص فيه سبورة وأقلام لتدوين السنة النبوية، وفي القاعة يدون الحديث على طرف السبورة ، وقد عايشت مع زميلاتي هذه التجربة ، ووجدنا بركة تطبيقها ، ولا غرو فإن خدمة السنة شرف.

4/ أن يحرص كل منا على إعداد درس في الحديث النبوي أو أخلاق رسول الله ﷺ أو السيرة يلقيه على أفراد أسرته، أو طلاب فصله، أو جماعة مسجده، على أن يعتمد في التحضير والإعداد على الكتب التي عنيت بصحيح السنة، ويملاً أوقات الناس بأقوال الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتغل غيرهم بأقوال البشر وأحوال دنياهم.

5/ احرص على كتابة الأحاديث النبوية الصحيحة لاسيما غير المشتهرة وانشرها عن طريق رسائل الجوال، أو البريد الإلكتروني.

6/ لا تستعجل في نشر رسالة أتتك تحوي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تتأكد من صحة الحديث.

7/ اعد مسابقة في حفظ السنة النبوية، أو ضع أسئلة حول كتاب في السيرة ، واضرب لأصحاب الفوز جوائز قيمة.

8/ اثن ربك في حلق العلم لاسيما الحلق التي عنت بشرح الأحاديث أو الدورات المقامة في مصطلح الحديث أو تخريجه.

9/ لا يفتر لسانك دائما من الصلاة والسلام عليه ، بل كن مفتاح خير، وذكّر من حولك دائما بفضل الصلاة والسلام عليه، ولا تنس أن تفتني كتاب " جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام " لابن قيم الجوزية لتقرأه، وتقرأه.

10/ احرص على إصدار دورية ، فإن رامت نفسك الزيادة فمجلة تختص بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وهديه وأقواله تنشر فيها ما صح، فإن لم تستطع إلى ذلك سبيلا فانشر في المجلات والصحف والمواقع عمّا خطه قلمك، وماتشرف به حبرك من الضرب بالسهم في خدمة سنته وتذكر " بلغوا عني ولو آية " .

11/ ترجم ما تقرأه وتنشره إلى واقع تعيشه وتطبقه،

وانشر أخلاق وأقوال رسول الله ﷺ بفعلك قبل قولك؛ فإن التربية بالقدوة مطلب أي مطلب.

12/ إن كنت من طلبة الدراسات العليا في إحدى الجامعات ، أو من طلبة الحديث فلتتق نفسك لجمع هدي رسول الله ﷺ في كل مسلك، كهديه مع أصحابه، وهديه مع أعدائه، وهديه في حوار، وهديه في صلواته، وتشتغل بجمع الأحاديث الصحيحة واستخراج فوائدها واستنباطاتها، ثم انشر ماكتبته، لتعم فائدته.

13/ لنفكر سويا في إنشاء قناة عالمية تترجم لعدة لغات للتعريف برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يشترك فيها العالم والتقني لخدمة دين الله وسنة رسول الله.

14/ إنشاء موقع الكتروني على الشبكة العنكبوتية

للتعريف برسول الله ﷺ وعرض سيرته المشرقة دون تدليس أو تشويه.

15/ تتبع شبهات المستشرقين، ولوثات العقلانيين للرد عليها ، وكشف عوارها لاسيما في وقت كفا الجناة فيه المكتل مملوءا بالردائل بكل قوة وجرأة واندفاع، وإنك لتعجب حين ترى من أثارها يحمل اسما إسلاميا وإذا نظرت إلى المضمون وجدته يقطر فكرا لا يحمله إلا مستغرب مسير أشرب قلبه الهوى والتفرنج، وأما الصياغة فقو قلبك على قرع الألفاظ المولدة، والتراكيب الركيكة، واللحن الفاحش، وتصيد عبارات صحفية تقمش من هنا وهناك على جادة القص واللزق طريقة العجزة الذين قعدت بهم قدراتهم عن أن يكتبوا كتابا وآدوا من له علم في الشرع أو لسان العرب أو الذوق البياني.

16 / القيام بحملات مباركة لخدمة السنة النبوية تصاحبها ندوات ومحاضرات، ويوزع على أثرها كتب ومسموعات، وقد كان لطالبات كلية التربية الأقسام الأدبية بالرياض حملات مذكورة مشهورة كان لها أصداء طيبة وآثار مباركة.

17 / نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تطاول بعض الناس على سنته أو الانتقاص منها في المجالس، ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، ولا يكن أهل الباطل في باطلهم أجراً منك في بيان حقك، واحذر السلبية المذمومة، وخذ على يد من أراد أن يغرق السفينة.

18 / ارجع إلى كتاب الله وسنة رسول الله في كل أمرك ، وارض بشرعته وسلم لحكمه ولا تجد في نفسك حرجاً مما قضى ﷺ.

19 / اعقد مسابقة تشرك فيها العالم والأديب والكاتب ؛ لترشيح أجود كتاب أو قصيدة أو مقالة عنه ﷺ.

20 / ابدل مالك في شراء الكتب القيمة التي تحدثت عن شخصه العظيم ﷺ وانشرها بين صغير الناس وكبيرهم، ومسلمهم وكافرهم، وانتق في مخاطبة عقل كل منهم ما يناسبه "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً".

21 / لتبدأ بالكتاب والسنة لإصلاح نفسك وبيتك ومن حولك . لتبدأ بالكتاب والسنة لرسم طريق سعيد مليء بما يحبه الله ويرضاه، لتبدأ بالكتاب والسنة لتصحيح مسار معوج أراذك الشيطان أن تسلكه، وأبت نفسك إلى الرجوع لما يحبه ربك، لتبدأ بالكتاب والسنة لحل مشكلات أرقتك مع زوجتك أو ابنك أو صديقك أو عدوك، لتبدأ بالكتاب والسنة لتعرف ماضيك وما يجب عليك في حاضرک وما سيواجهه العالم في المستقبل، عش أجمل ساعاتك مع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، واجلس مع الصحابة والتابعين وانظر في كتبهم وآثارهم.

لنا جلساء ما نمل حديثهم

ألباء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى

وحلما وتأديبا ورأيا مسدداً

وتمثل دوما في حبك بقول الأول :

ومن عجب أني أحن إليهم

وأسأل شوقاً من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها

ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

والزم رعاك الله الحق وإن كنت وحدك، فلا بد من أنس وإن طال الطريق، وكثر
قطاعه.

وأسأل الله أن يتقبل مني ومنك، ويحمي أعراضنا من ناره الموقدة لحمايتنا كريم
عرضه، ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه، ويجعله سبباً يوصلنا
بأسبابه، وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه، ويخصنا بخصيصى زمرة نبيينا وجماعته، ويحشرنا في
الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته، ويصطفينا لخدمة كتابة وسنة
نبيه، ويجعلنا حماة للدين ذابيين عنه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، حسبنا الله ونعم
الوكيل، وصلاته وسلامه على سيدنا خاتم النبيين وعلى آله وصحبه..